۱۶۵۳۴

مجله	الفرقان
تاریخ نشر	صفر ۱۳۷۱
شماره	العدد الثانی - المجلد السابع
شماره مسلسل	
محل نشر	
زبان	عربی
نویسنده	ابی الاعلی المودودی
تعداد صفحات	۱۰۴ - ۱۰۷
موضوع	مبادی قرآنیة
سرفصلها	اهداف دولت اسلامی حکومت
کیفیت	
ملاحظات	

من القرآن

ترجمة ٧١

مبادئ قرآنية في توجيه سياسة الدولة

لسماحة الاستاذ السيد ابي الأعلى المودودي

في القرآن ، إلى جانب النظريات السياسية ، مبادىء كريمة في توجيه سياسة الدولة ، والدراسة الدقيقة لهذه المبادىء تلقي ضوءاً كثيراً على مقاصد الدولة الاسلامية . والآيات القرآنية التالية ذات أهمية كبيرة في هذا المضمار :

« لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموماً مخذولا ،

وقضى ربك :

١) ألا تعبدوا إلا إياه .

٢) وبالوالدين إحساناً ، إمّا يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فانه كان للأوابين غفوراً .

٣) وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل .

٤) ولا تبذر تبذيراً ، إن المبذّرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً .

٥) وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهما قولاً ميسوراً .

٦) ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً — إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيراً بصيراً .

٧) ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم واياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيراً .

٨) ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشةً وساء سبيلا .

٩) ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله الا بالحق ، ومن قُتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً .

١٠) ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده .

١١) وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا .

١٢) وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويـــلا .

١٣) ولا تقفُ ما ليس لك به علم — إن السمع والبصر والفؤاد ، كل أولئك كان عنه مسئولا .

١٤) ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا .

كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها . ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة . »

في هذه الآيات المذكورة آنفاً أبرز القرآن هذه المبادىء الأولية التي تشكل أساس النظام الاسلامي. لقد نزل الوحي بهذه الآيات في وقت له مغزاه التاريخي: حين أوشك العهد المدني أن يبدأ ، وأخذ العهد المكي يقترب من نهايته لتفتح صفحة جديدة في تاريخ الحركة الاسلامية .

في هذه الآونة التاريخية — أوحى « بيان الاسلام » ، البيان الذي سيتخذ كمرجع لسياسة الدولة الاسلامية الجديدة وسيرتها ، في المدينـــة المنورة ، فأقر الأسس التوجيهية للبناء الديني والخلقي والاجتماعي ، والاقتصادي ، والسياسي ، والثقافي ، للدولة والمجتمع الجديدين .

(أ) إن الحصيلة الحقيقية للمبدأ الاول لا تنحصر فقط في أنه لا يوجد إله إلا الله الذي يُتفرد بالعبادة والسجود، بل تتسع دائرتها لتعني عدم جواز طاعة أحد غير الله ، هذه الطاعة لا تتقيد بقيد في كل مجالات الحياة ، فأمره يجب ان يقبل على أنه هو الأمر ، وقانونه هو القانون ، كما ان علينا ان نقر أنه هو الحاكم الفرد، والسيد المطاع ، والملك .

إن هذا المبدأ لا يجوز أن يعنى مجرد اعتقاد شخصي ، او محض مسألة من مسائل الايمان بالنسبة للفرد ، ولكنه اكبر من ذلك بكثير ، إذ هو يرسي اساس النظام الاسلامي للحياة كلها ، وإنما كان على هذا الاساس المكين بناء رسول الله صلى الله عليه وسلم لدولة الاسلام ومجتمعه في المدينة .

لقد أسست الدولة الاسلامية في المدينة على فكرة (ايدولوجية) ، وهذه الفكرة لم تكن شيئاً آخر سوى « ان الله سبحانه وتعالى هو الحاكم الاعلى والسيد المطاع والملك ، وان شريعته هي التي تقرر للانسان نظام السلوك ، وللدولة القانون الذي يطبق في الأرض » .

(ب) وطبقاً للمبدأ الثاني ، فان حقوق الوالدين تأتي من بين كل العلاقات البشرية في المكان الاول ، ولا يتقدم عليها إلا حقوق الله وحده . فعلى الناس ان يحترموا والديهم ويطيعوهم ، وان يبذلوا غاية جهدهم في خدمتهم . ان الجوّ الاخلاقي للمجتمع يجب ان يكون بحيث ينشأ الاطفال على احترام والديهم وطاعتهم ؛ يجب ان تغرس في نفوسهم روح هذه الخدمة وان يستحثوا على العناية بوالديهم تماماً كما كان والدوهم يعتنون بهم عند الصغر .

إن هذه الآية ليست مجرد توجيه اخلاقي. بل هي الاساس الذي عليه شرعت فيما بعد الحقوق القانونية للوالدين كما وضحتها الاقسام المتعلقة بهذا الموضوع في كتب الحديث والفقه ، وبسبب هذه الآية كذلك أصبح للوالدين مركز مبجل في نظام المجتمع الاسلامي وثقافته ؛ ومن ثم اصبح واجباً على الجماعة وعلى الدولة ان تتخذ الاجراآت اللازمة من اجل حماية هذا المركز والمحافظة عليه . وعلاوة على ذلك فإنه في ضوء هذه الآية يتقرر مبدأ : ان الدولة الاسلامية يجب ان تصوغ سياستها القانونية والتعليمية الادارية على اساس احترام نظام العائلة وتقويته ، ودعمه بحماية الدولة له .

(جـ) والفحوى الحقيقي للمواد ٣ و ٤ و ٥ في هذا البيان ، هي انه لا يجوز ان يقصر الانسان كسبه على سد حاجته هو فقط ، بل يجب ان يتبع مستوى متوازناً في الحياة لا إسراف فيه ، وان يكرس جزءاً من ثروته الفائضة لمساعدة أقربائه والمحتاجين والمعوزين ذوي الفاقة ، ليسدوا حاجاتهم ، وعلى هذا النهج

تسري روح التعاون والتضحية المتبادلة والتكافل الاقتصادي ورعاية الافراد العميقة لحقوق بعضهم البعض .. في جو الامة الاجتماعي بكل أجزائه .

يجب على كل فرد ان يساعد اهله وأقاربه ، وعلى الاغنياء ان يمدوا للفقراء يد المساعدة والمؤازرة ويعينوهم على مواجهة تضاريس الحياة ، كما يجب ان يضمن لعابر السبيل ما يلزمه من مأكل في أي ارض يمر بها . يجب ان يتشبع الناس بفكرة هذا « الحق » في الاسلام حتى يشعروا دائماً ان في ثرواتهم نصيباً مفروضاً لاولئك الناس الذين يعيشون من حولهم . وانهم اذا ساعدوهم فانما يعطونهم شيئاً هو « حق » لهم ، لا صدقة بالمعنى الشائع للصدقة . أما الذي لا تمكنه ظروفه من مساعدة الاخرين ، فعليه ان يجد لذلك شعوراً من الأسى في نفسه ، وان يسأل الله من فضله كي تتسنى له خدمة عباده وعونهم على تكاليف الحياة .

وكما رأينا في المبدأ الاول ، فان هذه المواد الثلاثة في هذا البيان الاسلامي.. لم يقصد بها ان تكون مجرد مبادىء اخلاقية، بل ترجمت دولة الاسلام في المدينة هذه الآيات الى امر واقع يطبق ، ولقد تم على ضوء هذه الآيات قيام نظام الصدقات الواجبة، والصدقات النافلة ، وصمم نظام الوصايا ، والإرث والاوقاف ووضعت ضمانات للمحافظة على حقوق الأيتام وممتلكاتهم ، بل جعل الفقهاء واجباً على كل محلة مسكونة ان تستضيف — لمدة ثلاثة ايام على الاقل — اي مسافر يمر بها .

ويجب ان تتسع دائرة هذا المعنى ، فلا يدخر مجهود يمكن بذله لبث روح التضحية والكرم والتعاون، ولا نبعاث المعاني الانسانية العميقة في نفوس المجتمع على نطاق واسع ، حتى لا تقل اهمية الحقوق والمسئوليات الاخلاقية في تقديرهم عن اهمية الحقوق والواجبات التي يفرضها القانون .

يتبع